

مستوطنة الفنتين و قریش أية علاقة ؟

لطالما اختلف الإخباريون حول أصل و معنى تسمية قبائل " قریش " .
* قيل إنّ سبب التسمية يرجع إلى وظيفتها التي اشتهرت بها، أي التجارة والاسم في أصله يرجع إلى القروش التي كانت رائجة حينها، فسميت قریش من التقرّش، والتقرّش يعني التكسّب والتجارة، وقد ذكر ذلك ابن هشام.

* روى ابن إسحاق -رحمه الله- في سبب تسمية قریش بذلك إنّ ذلك يرجع إلى تجمّعها بعد أن كانت متفرّقة، وهو مأخوذ من التقرّش؛ أي التجمّع.

*ورد في رواية أخرى أنّ سبب تسمية قریش بهذا الاسم يرجع إلى سمك القرش، كنايةً عنه وذلك لقوّة قریش وعظمتها ومكانتها، وهي بذلك تتشبه بسمك القرش الذي يطغى على باقي الأسماك فيبتلعها، وقریش كذلك تبتلع باقي القبائل بسبب قوّتها.

* ورد في رواية من الروايات أنّه كان أحد أدلاء بني كنانة اسمه قریش بن بدر بن يخلد بن النصر، وكان دليلاً لهم في التجارة، فإذا قدمت التجارة قال الناس: قدمت غير قریش، كنايةً عن العير التي ترافق ذلك الدليل، وقریش ذلك من بني عمرو بن الحارث، لذلك أطلق على قریش ذلك الاسم.

تبقى هذه التفسيرات غير مقنعة في مجملها بل ومتضاربة فيما بينها، لكن تمة عنصر جد هام وهو تركيز هذه الأقوال على العامل التجاري وعلى تعامل هذه القبيلة أو القبائل بعملة القرش /القروش .

و السؤال المطروح هو إذا كانت هذه القبيلة أو تحالف قبائل لم تصل لمرحلة تأسيس دولة قبل الإسلام ،وبالتالي لم تكن لتسك هذه العملة ، فلمن إذا كانت تلك العملة و ما علاقة هذه القبيلة بها أو بالجهة الصادرة عنها؟

وبما أن عملة القرش تعود بدون شك للملك الإخميني قورش أو كورش الكبير، أول ملوك فارس (560- 529 ق م)، فإننا سننطلق من فترة ظهور الدولة الإخمينية لنتتبع حركة هذه الكتلة القبلية وعلاقتها بالجزيرة العربية لنتلمس صلتها بتسمية "قبائل قریش " .

يتحدث الدكتور كمال الصليبي في ص 42 من كتابه "التوراة جاءت من الجزيرة العربية " وتحديداً من منطقة عسير ، فيقول مايلى عن عودة المسبيين زمن نبوخذ نصر الى

جنوب شبه الجزيرة العربية بعد أن أطلق قورش سراحهم :
 "...وكان الفرس، كما سبق، بعيدين عن معاداة اليهود، بل إنهم ميزوهم عن غيرهم. وبإذن
 من الفرس أنفسهم، عاد حوالي 40 ألفاً من أبناء الأسرى الاسرائيليين في بلاد فارس
 والعراق مع عائلاتهم الى غرب شبه الجزيرة العربية".

أما الدكتور فاضل الربيعي في كتابه "القدس ليست أورشليم" ص 34 فيورد قائمة بأسماء
 القبائل التي عادت من السبي البابلي و استفادت من مرسوم قورش وهي قائمة تجمع بين
 قائمتين، الأولى لعزرا و الثانية لنحميا يرفقها بفصل يتناول فيه تفاصيل توضح الهوية
 العربية لهذه القبائل من خلال أسماءها ، وهي كالتالي :

قائمة القبائل العائدة من الأسر البابلي

الاسم في العبرية	الضبط العربي
1: بنو جبر	بنو جبر
2: بنو بيت لحم	بنو لحم
3: بنو حريشه	حريش
4: بنو صيحه	صيحه
5: بنو حصفه	حصفه
6: بنو رصين	رضين
7: بنو ناصح	ناصح
8: بنو حجاب	حجاب
9: بنو عبيد	عبيد
10: بنو شلمه	سلمه
11: بنو حشم	حشم
12: بنو شعرائيم	الشعراء
13: بنو أمير	أمير
14: بنو أذن	أذن
15: بنو كروب	أكراب
16: بنو عدين	عدين
17: بنو مسفر	السفر
18: بنو جزم	جزم
19: بنو حقوفه	حقف
20: بنو برقس	برقس
21: بنو محيدا	الحيدا
22: بنو قروس	بني قريس
23: بنو سوطه	سوط
24: بنو حارف	بنو خارف
25: بنو نطوف	نطوف

نحن في النصف الأول من الألفية الأولى قبل الميلاد ، وغموض هوية هذه القبائل يدفع الباحثين للإنقسام بين من يقول بيهوديتهم ومن يدافع عن عروبتهم .

الباحث اسرائيل ولفنسون في كتابه " تاريخ اليهود في بلاد العرب " ص 13 وفي معرض حديثه عن صحة هوية " يهود " الحجاز يسوق لنا شهادات من يهود دمشق وحلب في القرن 3 ب م ، تقول بأنهم كانوا ينكرون وجود يهود في الجزيرة العربية و يقولون أن الذين يعتبرون أنفسهم من اليهود في جهات خيبر ليسوا يهودا حقا إذ لم يحافظوا على الديانة الإلهية التوحيدية ولم يخضعوا لقوانين التلمود خضوعا تاما .

الخلاف في تحديد هوية هذه الفئات التي سكنت الحجاز قديما لم يدر بين المتأخرين فقط بل نجد له سوابق عند الأولين ، فهذا أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني يعدد منازل هذه الأقوام بالحجاز فيقول :

"....فنزل بنو النضير ومن معهم على مهزور وكانت لهم تلاحه وما تبقى من بعث وسموات فكان ممن سكن المدينة حتى نزلها الأوس و الخزرج من قبائل بني إسرائيل بنو عكرمة وبنو ثعلبة وبنو محمر وبنو زعورا وبنو زيد وبنو النضير وبنو قريظة وبنو بهدل وبنو عوف و بنو القصيص فكان يسكن يثرب جماعة من أبناء اليهود فيهم الشرف و الثروة و العز على سائر اليهود....."

أما المؤرخ اليعقوبي في تاريخ اليعقوبي ج2 ص 49 فينكر أن يكون هؤلاء يهود أصليون في الحجاز ويعتقد بأن أغلبهم من العنصر العربي ويقول بأن بني النضير فخذ من جذام إلا أنهم تهودوا و نزلوا بجبل يقال له النضير فسموا به و نزل بنو قريظة بجبل يقال له قريظة فنسبوا إليه .

إدراج هذه الآراء لم يأت بغرض الفصل في صحة الهوية اليهودية لهذه المجموعة البشرية أم لا ، ذلك أن الأمر جد معقد والمعلومات المتوفرة قليلة ، بل جاء كمقدمة تمكنا من البحث عن وجود علاقة ما بين "سكان الحجاز " هؤلاء ، وجماعة بشرية عاشت على الضفة المصرية للبحر الأحمر بأسوان بجزيرة إلفنتين في عهد قورش الكبير ، وتنعت أيضا بكونها " يهودية" .

ومبعث ذلك أن أوجه الشبه كبيرة بين المجموعتين لدرجة تغري بالقول بأنها نفس المجموعة وقد انتقلت قسرا كما سنرى ، من أسوان وطيبة للعيش و الإستقرار بالضفة المقابلة للبحر الأحمر على أرض الحجاز وهي التي ستعرف لاحقا بتحالف قبائل قريش .

ومبعث ذلك أيضا كوننا نتوفر على برديات غاية في الأهمية عثر عليها بجزيرة إلفنتين بأسوان، و تعتبر بحق كنزا يغنينا عن التكهّنات و يمدنا بمعلومات دقيقة حول حياة و معتقدات هذه المجموعة البشرية ما بين منتصف القرن السادس ق.م و نهاية القرن الخامس ق.م .

برديات إلفنتين

لم تنقطع هجرات اليهود نحو مصر لأغراض وأسباب مختلفة كما تخبرنا المصادر ، ويعتبر قدومهم الى مصر في عهد الملك أبسماتيك الأول (664 - 609 ق . م) كجند مرتزقة * ، ودخولهم مع الفرس زمن قورش الكبير ، الفترة الأقرب لتواجدهم بمنطقة إلفنتين / أسوان .

E. G. Kraeling. Brooklyn Aramaic Papyri, New — ١٤

* Haven 1953 p, 44

فبفضل الرسائل التي كان أولئك اليهود يتبادلونها مع إخوانهم في إلفنتين تم التعرف على أهم المناطق التي استقر بها اليهود كمنف و الفيوم و دهشور و البهنسا و الأشمونيين و أخميم و طيبة و أبيدوس و أدفو و إلفنتين و أسوان * .
* اليهود في عهد البطالمة و الرومان ص 6 د مصطفى كمال عبد العليم .

فالبرديات المكتشفة و المدونة بالآرامية ، تعتبر بمثابة سجل حافل بالأحداث التاريخية التي كانت إلفنتين بل مصر كلها الى حد ما مسرحا لها في العصر الفارسي .



وتكاد تتفق الآراء على أن " يهود " إلفنتين كانوا من سلالة الجند المرتزقة الذين عملوا في جيش أبسماتيك الثاني أو من سلالة الذين نجوا من السبي البابلي بعد تدمير هيكل أورشليم عام 586 ق.م على يد نبوخذ نصر .
والجدير بالذكر أن " اليهود " ، الذين كانوا يؤلفون جانبا من الحامية العسكرية في إلفنتين ، لم يكونوا الا جزءا من الجالية اليهودية التي استقرت في تلك المنطقة وكانت تضم الى جانب أولئك الجنود أسرا تمتلك بعضها المنازل في إلفنتين والبعض الآخر في أسوان .

معبد يهو في إلفنتين وأضحية الكبش

تشير إحدى الوثائق الآرامية التي عثر عليها في الفنتين إلى وجود مستوطنة لليهود هناك وقد سُمح لهم بإقامة معبد لـ "يهو" تحت الحماية الفارسية إلى جوار معبد خنوم الإله الكبش المصري الرسمي بهذه المنطقة .
كان "اليهود" آنذاك على ولاء للملك الفارسي حيث وجد فيهم الفرس أداة طيعة يستطيعون من خلالها السيطرة على بلاد بعيدة عن مركز امبراطوريتهم .
أما ولاء "اليهود" للفرس فإنه يرجع إلى أنهم مدينون للملك قورش الثاني (530 - 559 ق.م) بإنقاذهم من السبي البابلي وردهم إلى ديارهم .
وتكشف إحدى البرديات الآرامية أنه حين ثار المصريون على الفرس عقب ارتقاء دارا الثاني العرش في سنة 424 ق م بقي اليهود على ولائهم للإدارة الفارسية .

ولما كان الإله خنوم يصور في شكل كبش فإن قيام اليهود في عيد الفصح Pascha بنحر الخراف و الماعز كقربان لـ "يهو" وإيقاد المحارق بهيكل إلفنتين، كانت طقوسهم تلك تعد استفزازا للمصريين ولكهنة خنوم، إذ تشير البرديات الآرامية إلى حدوث صدامات و أحداث بسبب هذا المعبد، فتحين لهم المصريون فرصة غياب الوالي الفارسي فدمروا معبد "يهو" عن آخره.

بعد تدمير هذا المعبد ألح هؤلاء المستوطنون "اليهود" على تقديم التماسات للحاكم الفارسي و كذا حاكم يهوذا لتمكينهم من إعادة بناءه مع التزامهم بعدم تقديم الأضاحي مجدداً، والإكتفاء بتقديم البخور لتفادي الفتنة .

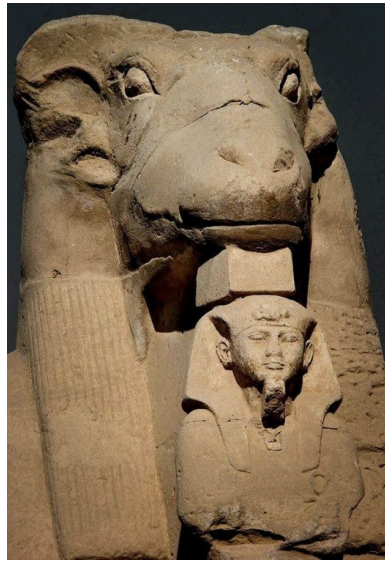


رسالة من بردية إلفنتين، فيها طلب إعادة بناء معبد يهودي في إلفنتين.

ويرى بعض المؤرخين أن منع نحر الخرفان بمعبد ألفنتين جاء بإيعاز من حكام يهوذا بعد تشاورهم مع الحبر الأعظم بفلسطين ، وذلك بغية الإبقاء على حق النحر مقتصرًا فقط على هيكل أورشليم و التزام نص سفر التثنية ، والهدف من وراء ذلك إبراز أهمية هيكل أورشليم و التقليل من شأن المعابد الأخرى كمعبد ألفنتين خارج فلسطين .

E. G. Kraeling op. cit. P. 107

يرجع تاريخ الإله خنوم أو غنوم Xnum إلى عصر الدولة القديمة، حيث عرف في ديانة قدماء المصريين بأنه «نب-قبحو»، أي سيد المياه وظل يعبد أيضا خلال عصر الدولة الحديثة، وكانت إلفنتين مركز عبادته.



آمون في هيئة كبش يحمي الفرعون رمسيس الثاني - معبد الكرنك

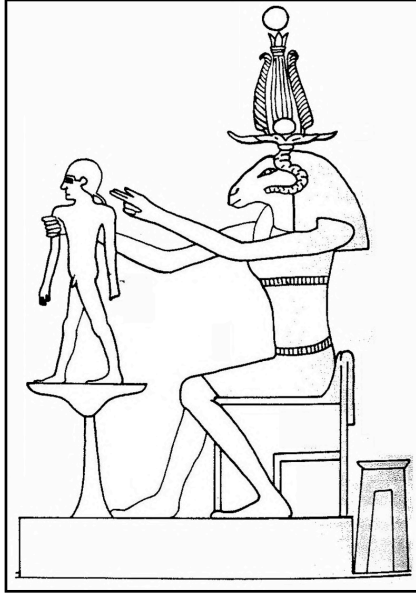


طريق الأكباش الفرعوني بالكرنك

غالبا ما صُور آمون على هيئة آدمية، لكن رمزه الأشهر كان الكبش ذو القرنين المعقوفين، اللذين أصبحا يعرفان باسمه "قرنا آمون". وظل ممثلاً بهذه الصورة منذ عهد أمنحوتب الثالث، بينما ارتبط الكبش المحلي القديم ذو القرون المستقيمة المبرومة بالإله خنوم.

وفي شهادة متأخرة تعود للمؤرخ اليوناني هيرودوت، يؤكد استمرار تقديس الكبش كرمز لآمون في عصور الاحتلال الفارسي لمصر، فيقول:
"يرسم المصريون صورة آمون على هيئة الكبش، فأهل طيبة لا يذبحون الكباش بل يقدسونها لهذا السبب"

أصله من منطقة أسوان وسمي بـ "خنوم / غنوم" وتعني "سيد المياه العذبة" فهو إله شعبي، حامي للرجال و الحارس لمنابع النيل و المسيطر على فيضانه وبالتالي المحافظ على الناس من المجاعة.
قوة مجرى النيل في مصر العليا وخصوصا على مستوى أسوان جعلت المصري القديم يعتقد بأن الإله خنوم هو الذي يطلق من هناك المياه و الفيضانات حسب رغبته .
فهو بالتالي إله خالق و غالبا ما يشخص في الرسومات وأمامه عجلته الخاصة بصناعة الفخار و التي يشكل بها الكائنات من طمي النيل (فيما يشبه مشهد خلق آدم)، واعتبر تبعا لذلك في الأساطير المصرية خالقا لكل الفراعنة .



في جزيرة إلفنتين (الفيلة) نجد الآثار الأولى لبناء معبده الخاص و يعود تاريخه إلى الأسرة الثالثة (2647-2575) ق م . تم ترميم هذا المعبد وتوسيعه ، في عهد رمسيس الثاني (1279-1213 ق م - الأسرة التاسعة عشرة) ، وفيما بعد من قبل أوسوركون الثاني (874-850 ق م الأسرة الثانية والعشرون).

فهل هناك علاقة ما بين تضحية بنو اسرائيل بالكبش ، وبين إله المصريين خنوم ؟

يذكر سفر الخروج واقعة تشير للأمر، فعندما اعترض النبي موسى على اقتراح فرعون بإقامة اليهود لشعائر عقيدتهم في مصر بدلاً من الخروج والنتية في البرية، كانت الحجة أن قرايين العقيدة اليهودية ستثير غضب المصريين؛ أي أن القربان اليهودي يخص حيواناً مقدساً عند المصريين، وكما ذكرنا فالكبش رمز للإله آمون هو قربان العيد اليهودي .

شهادة أخرى للمؤرخ الروماني بابلوس تاسيتس (55-120م) تؤكد على نفس المعنى، في سياق تأكيده على أن القانون والعادات اليهودية قد شرعت على النقيض من القيم المصرية القديمة وخاصة الديني منها. يقول نصاً:

“حتى أن اليهود قد ضحوا بالكبش من أجل ازدراء الإله المصري آمون”

جاء في القرآن الكريم في سورة الصافات الآيات :

وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ * كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ*.

يقول الطبري في تأويل قوله تعالى : **وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ 107**
يقول: جزيناه بأن جعلنا مكان ذبحه ذبح كبش عظيم، وأنقذناه من الذبح.

إن طقس التضحية **بالكبش** في سياقنا هذا عقب رؤيا النبي ابراهيم القاضية بالتضحية بابنه البكر **اسماعيل** وفدائه **بعد ذلك** بالإله الكبش / غنوم يعني نهاية تقديس الإله الكبش والدخول في طور التوحيد.

إذا كانت هذه هي خلفية شعيرة نحر الكبش لدى " اليهود " المستوطنين بجزيرة إلفنتين فإنه من الطبيعي أن تتم مقاومتهم من طرف كهنة الإله خنوم بطيبة و سكان أسوان و طبيعي أيضا أن يتم تصنيف هؤلاء المستوطنين كأعداء يجب القضاء عليهم .

وهو ما تم فعلا مع تواري الحكم الفارسي عن مصر، إذ أصبحت الجالية "اليهودية" تحت رحمة المصريين و كهنة خنوم بعد أن تقوى مركزهم في عهد الملك نايف عاورود الأول (399-393 ق.م) مؤسس الأسرة 29 في منديس بالدلتا حيث كان مركز عبادة الإله الكبش ، فوجد الكهنة الفرصة سانحة ليشفوا ما في قلوبهم من كراهية تجاه "اليهود" فتكرر التنكيل بهم بحيث لم نعد نسمع عنهم شيئا ،حسب الأستاذ كرايلنج ناشر برديات متحف بروكلين .

خصوصية "يهود" الفنتين

من اللافت للإنتباه أن لجالية الفنتين التي تنعت بأنها يهودية مميزات و خصائص حيرت الباحثين الذين درسوا البرديات المكتشفة ، ونعرض لبعضها كالتالي :

- بعض البرديات تبين أنه كان من الممكن أن يقوم زواج بين مصرى ويهودية ، وبين يهودى وأمة مصرية .

A. E. Cowley, op. cit. Pa. No. 14, 15 cf. E. G.

٦٢-

Kraeling op. cit. p. 53 f.

- اختلاط الأسماء المصرية بالأسماء السامية يدل على وجود قدر من الاندماج في المجتمع المصرى أو على الأقل التأثير به .

- لم يكن هؤلاء "اليهود" ملتزمين بدقة بتعاليم شريعتهم ، فإقامة معبد الفنتين في حد ذاته مخالفة صريحة إذ أن سفر التثنية ينص على ألا يكون لليهود غير هيكل واحد هو هيكل أورشليم ولا يجوز أن تقدم القرابين الا على مذبحه .

- كان هؤلاء "اليهود" يقدسون بعض الآلهة الوثنية مثل اشم بيتال (Eshembethel) وعنات بيت ايل (Anathbethel) ويعبدونها الى جانب ربهم يهوه .

- و كانوا يقرضون الأموال بفوائد فاحشة - (الربا) قد تصل أحيانا الى 60 ٪ في السنة وإذا عجز المدين عن سداد دينه فان الفائدة التي لم تدفع كانت تضاف الى أصل الدين.

- أما عن العلاقة الدينية بين أورشليم والفنتين فيهود أورشليم لم يرحبوا بقيام هيكل ليهوه في غير مدينتهم . وتحدثنا بردية آرامية بأن الملك الفارسي دارا الثاني **حدد ليهود الفنتين موعد الاحتفال بعيد الفطير والمدة التي يستغرقها هذا العيد .**

وقد حدا ببعض المؤرخين الى القول بأن يهود الفنتين لم يعتادوا الاحتفال به ، فرغب يهود أورشليم وبابل الى الملك الفارسي أن يحملهم على الاحتفال به حتى تسود الوحدة الدينية في تلك الأقطار من ناحية المظهر الديني على الأقل .

E.G. Kraeling, op. cit. P. 56, Pap. No. 11 idem

المميزات الآنفة الذكر ، تفيد بوضوح أن هذه المجموعة البشرية تختلف نسبيا عن اليهود، فهي بالإضافة الى تمسكها الكبير بشعيرة ذبح الكبش في هيكلها بالفنتين ، كانت تعبد فيه الى جانب "يهو" آلهة أخرى وأهمها الإلهة عنات و بيت ايل .

يعتبر بحث الدكتور محمد الهواري " **المعبودات السامية في الفنتين في ضوء البرديات الآرامية** " من البحوث المحكمة الهامة التي تناولت بالتفصيل هذه المعبودات، وجاء في

بحثه بالإضافة إلى الفروق المذكورة أعلاه ، أن المعبود الرئيسي لهذه المجموعة يحمل اسم "يهو" יהו وليس "يهوه" יהוה ، مما دفعه للتساؤل حول ما إذا كان هذا الإله هو نفسه الإله القومي لبني إسرائيل .

فرغم وجود إختلاف بسيط في طريقة كتابه اسمه ، إلا أن وصفه في إحدى البرديات على أنه " يهو إله السماء " יהו אלה "وفي بردية أخرى" مذبح إله السماء "מזבח אלה" يجعلنا نعتقد بأنه نفس المعبود القومي لبني إسرائيل * نفس المصدر .

قد تكون الإختلافات المذكورة أعلاه دليل على بداية تحول وتباعد بين مجموعة أورشليم التي ستتجه فيما بعد ، في عهد بطليموس الثاني (283 ق.م. 246 ق.م) الى تجميع الأسفار وترجمتها الى اليونانية فيما سيعرف بالترجمة السبعونية ، وبين مجموعة أخرى اختارت البقاء في جنوب الجزيرة العربية بعد طردها من الفنتين و النواحي ، و إستمرارها في المحافظة على ما اعتبرته إرثا أبراهيميا خالصا .

إلى جانب الإله "يهو" نتحدث البرديات عن عبادة "يهود" الفنتين لآلهة أخرى وأهمها :

عناات يهو לענתיהו

اعتمد الباحثون - الذين يؤكدون على عبادة يهود الفنتين لآلهة غريبة ، على بردية " كولي Cowley رقم 22 التي ترجع إلى عام 419 ق م ، وفيها وردت العديد من الأسماء التي تبرع أصحابها بمبالغ معينة لمعبد " يهو " ول بعض المعبودات الأخرى . وتذكر هذه البردية اجمالي التبرعات التي استلمها "يدونيا بن جمريا" رئيس يهود الفنتين ، فكان جزء منها للإله "يهو" ، وجزء آخر للإلهة "عناات بيت ايل" وبعضها للإلهة "اشم بيت ايل" ، ، فيما يلاحظ أن نصيب الإله يهو من تلك التبرعات ، كان متعادلا تقريبا مع نصيب الإلهة "عناات بيت ايل" ، مما يرجح أن الإلهة عناات بيت ايل حظيت بمكانة مهمة في قلوب بعض المتبرعي لا تقل عن مكانة الإله يهو. وهذا ماجاء مسطرا في البردية :

في الثالث من فاميلوت (برمهاات) كل رجل (أعطى) اثنين شاقل من الفضة الفضة (النقود) التي في هذا اليوم في يد يدونيا بن جمريا في شهر نامينوت (برمهاات) (كانت) 31 قرش و 8 شاقل من الفضة
12 قرش و 6 شاقل من هذه تكون ليهو
7 قرش تكون لاشم بيت ايل
12 قرش تكون لعناات بيت ايل

هذا النص يخبرنا بالإضافة الى قيمة القدر المادي الذي تم التبرع به ل "يهو" وكونه يساوي تقريبا ما خصص ل "عناات" فإنه يخبرنا كذلك أن العملة كانت تتعامل بها هذه الفئة هي عملة القرش و تعود لقورش الكبير .

فمن تكون الإلهة "عنا" ؟

اختلف الباحثون حول أصل الإلهة "عنا" ، فبينما يذهب فريق منهم إلى أن أصلها بابل ، يرجح فريق آخر أن أصلها حيثى ، وبين آخرون أنها من الآلهة الكنعانية ، يؤكد بعضهم أن أصلها أموري ، ويشير "كوك Cooke" إلى أن عبادة الإلهة عنا ترجع إلى عصور مبكرة جدا في سوريا وفلسطين.

و في كتاب الآلهة الكنعانية ص 83 لخزل الماجدي في معرض تعريفه ب "عنا" فيقول بأن اسمها مشتق من اسم الإلهة السومرية (إنانا) وهي إلهة الحب والجمال ورفيقة دموزي (تموز) وقصتهما الأسطورية معروفة ، وهذه القصة تشكل نواة قصص الحب والعذاب في العصور القديمة .

ويتابع بأن عنا تعتبر وريثة أمها (عشيرة) مع تطرف كبير في شخصيتها العاشقة أو المحاربة مع اختفاء أو ضمور صفة الأمومة فيها ، فهي إلهة قاسية وتبدو داعرة أكثر مما يجب .

توصف "عنا" بأنها أخت بعل وزوجته وهي التي تقف دائما ودون تردد إلى جانبه في كل الأمور ، ولذلك فسّر اسم عنا في العربية على أنها (العناية) التي تشد من أزر بعل وتناصره .

كان أكثر ما يربع الكنعانيين كما القدماء عموما ، هو توقف المطر وخسارة المحاصيل خلال الموسم، فابتكروا أسطورة قدموا من خلالها تفسيراً للعالم وكيفية عمله ، إذ ربطت بين تناوب المواسم الممطرة و الجافة بوجود صراع لقوى خفية تم تجسيدها ورسم مميزاتها وأدوارها .

في نص تحت عنوان " الميثولوجيا الأوغاريتية " ل *بروس ساترفيلد * قسم التعليم الديني، جامعة بريغهام يونغ - أيداهو - نتناوله هنا بتصرف - أدرج خلاله إحدى الأساطير الأوغاريتية الأكثر شهرةً وتدعى "دورة الكرة" و تتمحور حول خصوبة الأرض .

تذكر لنا هذه الأسطورة صراع بعل و الإله موت ودور عنا ، فتم تقسيمها إلى فصول ثلاثة نوجزها كالتالي :

الفصل الأول: معركة السيادة - دورة الخريف

يتركز الفصل الأول حول الصراع بين بعل ويم (إله البحر) . في العقيدة الكنعانية، كان يم يهدد الأرض ، وبسبب فيضاناته لن يكون ثمة محاصيل وبالتالي حدوث المجاعة. وفي المقابل كان بعل "إله الأرض" يملك القوة والقدرة على السيطرة على المياه و بالتالي إخضاع يم.

يستسلم "يم" بعد منازللة بعل ويعلن له "ها أنا ذا بمثابة الميت! إن بعل هو الملك حتمًا".

الفصل الثاني: بناء قصر لبعل - دورة الشتاء

بعد ظفر بعل بـ"مملكته الخالدة"، استأذن إيل بأن يكون له قصر خاص به .

فتصدق عشيرة (زوجة إيل) :

هو ذا بعل الآن سيبتدى موسم الأمطار،

موسم الوديان التي يغمرها فيض الثلج

سوف تردد الغيوم جلجلة صوته،

ويضيء الأرض ببرقه.

انتصر بعل على "يم" وأصبح بطل الأرض ، و عليه حماية الموسم الفلاحي عبر مواجهة الإله "موت" ، جالب الجفاف والمجاعة والقحط ، في عالمه السفلي . يستعد بعل للمنازلة ، فيصبح قبل المعركة قائلاً :

ليبك موت على نفسه،

لأنني وحدي سأسود على الآلهة؛

أنا وحدي من سيشبع الآلهة والبشر،

أنا وحدي من سيعيل جموع الأرض.

الفصل الثالث: موت بعل وعودته إلى الحياة - دورة الصيف

يدعو موت بعل إلى عالمه السفلي لإرواء عطشه الناتج عن عطش الصيف .

يوافق بعل على الذهاب إلى قدره. فيصطحب معه الغيوم والرياح والأمطار. لموت بعد

نزوله الى عالم موت .

يعلم إيل اللطيف الرحيم خبر موت بعل في نوبة حداد و حزن شديدين :

نزل من عرشه

وجلس على الأرض

سكب الأرض على رأسه كعلامة حداد

جرح جلده بسكين

وشقَّ شقوقًا بشفرة

جرح خديه وذقنه

ستتضم عناة أيضًا إلى هذه الطقوس الغريبة من الحداد. وبعد إتمامها، تقدم عناة العديد من

الأضحيات والقرايين إلى بعل، وتضم هذه الأضحيات الثيران والغزلان والماعز الجبلي

وغيرها.

بعد حدادها ودفنها لبعل ،وفي حالة من الغضب العارم تتجه عناة لمواجهة الإله "موت" :

تقبض على الإله موت

وتشقه بشفرة

وتهوي عليه بمجرفة
وتحرقه بالنار
وتطحنه بحجر الرحي
بانتصارها على "موت" "أمطرت السماء زيثًا وسالت الوديان عسلًا" ليعود النماء
والخصوبة إلى الأرض"، فتدب الحياة في بعل من جديد ليبدأ فصل الخريف فتتكرر دورة
بعل من جديد .

يفهم من هذه الأسطورة أن عناة ، كانت إلهة عابرة للحدود ودائعة الصيت وصفاتها
الواردة في الأساطير الأوغاريتية وخصوصا حكايتها مع الإله موت جعلت منها إلهة
استثنائية و جديرة بتصدر العبادة و طلب الشفاعة و الخصب والعطف.
لذلك سنجدها تنتقل حوالي 1700 ق.م مع دخول الهكسوس الى مصر تحت إسم عنت؛
عنتيت، عنيث، عنتي، ويعتقد بأن رمسيس الثاني كان قد أطلق إسم بنت عنتا (بنت عناة)
على ابنته الكبرى من الملكة "إست نفرت .
سنجد أيضا بالجهة الشرقية لدلتا النيل وشرق ليبيا إلهة مماثلة في الخصائص و تدعى الإلهة
" نيت " . اختلف الباحثون حول أصلها ، ففيما ذهب فريق الى أن أصلها مصري يؤكد
أغلبهم أنها من أصل أمازيغي ولذلك تسمى سيدة الغرب . ويؤكد د. رجب عبد الحميد الاثرم
أن " نيت " في غرب الدلتا هي نفسها " تانيت " في الإقليم الطرابلسي. (محاضرات في
تاريخ ليبيا القديم) ص 80. " وكانت تسمى في العصور القديمة { الواحدة التي وجدت قبل
الوجود } ، وبعد أن استوطن الفينيقيون قرطاج حوالي 814 ق.م جعلوها هي و بعل
حمون نظيرة لعناة و بعل الشام إلهة الحب والخصوبة والسماء وحامية مدينة قرطاج
لتحمل اسم تنت / تانيت في الفضاء الأمازيغي .



الإلهة نيت في هيئتها الحربية وطبيعتها الأنثوية الخصوبة.

كانت تُصور "نيت" ربة الحرب في مصر بهيئة إنسان بالكامل و تحمل درعا عليه سهمان متقاطعان ، ثم عادت أيضا من طرف الإغريق بإسم " أثينا " بحيث أشار كل من هيرودوت وأفلاطون أنها نفسها "نيت" الأمازيغية، وقد سميت أعظم مدينة إغريقية نسبة لها وهي "أثينا".

بتونس و في عدد من المواقع الأركيولوجية ، عثر على شواهد قبور عديدة تعود للفترة البونية - وعليها نقوش تشخص الإلهة " تانيت " على شكل مثلث تعلوه دائرة ، ويشير الرمز إلى إمراة بطريقة مبسطة جدا . فبالإضافة الى بعض الرموز الأخرى كالهلال و الزهرة السداسية أو الثمانية ، كانوا ينقشون حربتين على يمينها و يسارها . ورود نقوش ل " تانيت " بحربتيها على شواهد القبور بتلك الكثافة ، تحيلنا على أسطورتها في مواجهة الإله موت وقدرتها على التغلب عليه، ما يفسر حيازتها لشعبية كبيرة لتصبح رمزا ومقصدا للشفاعة و التكفل بالموتى في رحلتهم للعالم الآخر ،عالم الإله موت السفلي، ويتضح من خلال مقارنة نقش عناة الأوغاريتية و تانيت القرطاجية أن شكل هذه الأخيرة ما هو إلا تبسيط لشكل عناة . أنظر الصور.



شاهدي قبور بونية و عليهما نقش لهيئة تنات محاطة برموزها
وفي الوسط نقش بارز لعنة الأوغاريتية محاطة بدانتين

تعتبر النقوش الجنائزية البونية للإلهة " تانيت " في الفضاء القرطاجي خلال النصف الثاني من الألفية الأولى ق . م ، مفتاحا صريحا لتفسير ماهية و رمزية منشآت حجرية أخرى عثر عليها بالحجاز و سميت بـ " ثقب المفتاح " ، و التي يتفق أغلب المختصين على أنها كانت عبارة عن مقابر لوجود رفات آدمية داخلها .

التحليل الشكلي لهذه المنشآت بالإضافة الى وظيفتها الجنائزية يفيد بوجود تطابق صريح مع هيئة الإلهة تانيت ، ذلك أن هيئة هذه الإلهة كان يختزل في شكل مثلث و دائرة ، وهو نفس التصميم الذي تتشكل منه تلك المنشآت الحجزية المسماة (ثقب المفتاح-key hole)

<https://lurl.fr/tfoB>



آثار شمال يثرب / المدينة المنورة <https://lurl.fr/ofu6>

تأتي هذه المنشآت في بعض الأحيان ، في شكل منشئتين متقابلتين بينهما ممر عرضه 4 الى 7 أمتار ، عبارة عن شارع / مقبرة يستمر بخط مستقيم لمسافات وصلت الى 2 كم في أحد المواقع شمال



خلال إحدى حلقات برنامج " على خطى العرب " وفي معرض حديثه عن هذه المنشآت الحجرية " ثقب المفتاح " أشار الدكتور عيد اليحي في تفسيره لتلك الأشكال الى رمز لمعبودة قديمة للسومريين وبعدهم عدد من الحضارات وسماها بالمعبودة " إنانا" (سيدة السماء) <https://bit.ly/3sHT8e1>.

بإجراء مقارنة بسيطة بين شكل "تانيت" الأمازيغية - التي علمنا أنها الإلهة المقابلة لعناة الأوغاريتية - وشكل هذه المنشآت الحجازية نستنتج بسهولة أن الأمر يتعلق بنفس الإلهة ولن نجد صعوبة بالتالي للقول بأن الإلهة المعنية هي "مناة" الحجازية .
عناة الأوغاريتية / مناة الحجازية / تنيت الأمازيغية / نيت المصرية / أثينا الإغريقية ، هي نفس الإلهة ، لكن بخصوصيات محلية .

جاء في كتاب الأصنام لابن الكلبي ص 13
" ... دانت العرب للأصنام [وعبدوها] واتخذوها. فكان أقدمها كلها مناة... وكانت العرب جميعا تعظمه وتذبح حوله (يقصد الصنم) . وكانت الأوس والخزرج ومن ينزل المدينة ومكة وما قارب من المواضع يعظمونه ويذبحون له ويهدون له. وكان أولاد معد على بقية من دين إسماعيل (عليه السلام). وكانت ربيعة ومضر على بقية من دينه. ولم يكن أحد أشد إعظاما له من الأوس والخزرج.

..... كانت الأوس والخزرج ومن يأخذ بإخذهم من عرب أهل يثرب وغيرها فكانوا يحجون فيقفون مع الناس المواقف كلها ولا يخلقون رءوسهم. فإذا نفروا أتوه (صنم مناة) فخلقوا رءوسهم عنده وأقاموا عنده. لا يرون لحجهم تماماً إلا بذلك ... ومناة هذه التي ذكرها الله تعالى فقال: {وَمَنَاةُ الثَّالِثَةُ الْأُخْرَى} .. ". انتهى

ويذكر أن العرب كانت تسمى عبد مناة وزيد مناة ، فقام قصي باستبداله باسم عبد مناف.

جاء ذلك في " كتاب الروض الأنف ت الوكيل " للسهيلي ص 47 ج 1: "....وَعَبْدُ مَنْأَفِ هَذَا كَانَ يُلَقَّبُ قَمَرَ الْبَطْحَاءِ- فِيمَا ذَكَرَ الطَّبْرِيُّ - وَكَانَتْ أُمُّهُ حُبَى قَدْ أَخْدَمَتْهُ مَنَاةٌ ، وَكَانَ صَنْمًا عَظِيمًا لَهُمْ، وَكَانَ سُمِّيَ بِهِ عَبْدُ مَنَاةَ، ثُمَّ نَظَرَ قُصَيٌّ فَرَأَاهُ يُوَافِقُ عَبْدَ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ، فَحَوَّلَهُ: عَبْدَ مَنْأَفِ. " وكان (صنم مناة) حسب مصنف ابن الكلبي ، منصوبا على ساحل البحر من ناحية المثل بقديد، بين المدينة ومكة .



عرفت المنطقة الحجازية "هبل" كإله من بين آلهة عديدة ، و كان أعظم أصنام قريش ، ومن شدة تعظيمهم له وضعوه في جوف الكعبة، ويفترض الباحثون أنه فينيقي وأصله "هبل"، فاختلفت العين من النطق مع الوقت وربما كان الاسم في الأصل هو "يهو بعل / هوبعل / هبل / هبل"، وقد ورد في الأخبار أن عمرو بن لحي الخزاعي هو أول من أدخل "هبل" إلى مكة وذلك بعد أن استحسنت عبادة الأوثان عند الشاميين خلال سفره .

كان صنم "بعل" على صورة إنسان ذكر، وكذلك "هبل"، بينما كانت اللات، ومناة، والعزى إناثاً، لهذا جاء في القرآن الكريم :- (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ. وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ. أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ)، والمقصود بالذكر هنا "بعل" فقال: (اتَّذَعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ).

خلاصة

بعد إقامتنا لهذا الرابط بين عناة و مناة من جهة و بعل و هبل من جهة ثانية على أنها نفس الآلهة مع اختلاف بسيط في النطق ، سيصبح متيسرا لنا القول بأن تلك المجموعة البشرية التي استوطنت جزيرة إلفنتين قد تكون هي نفسها تلك التي جازت البحر الأحمر بعد هدم معبدها من طرف السكان الأصليين بمنطقة أسوان و طيبة مع نهاية الحكم الفارسي في مصر .

استقرار هذه الفئة بالحجاز بعد أن عُرفت بتبعيتها وموالاتها و تعظيمها لقورش الإخميني ، وبعد أن عرفت كذلك بتعاملها بعملته " القرش " كما رأينا سلفا في بردية "كولي" Cowley رقم 22 و التي ترجع الى عام 419 ق. م ، وبعد أن علمنا بأن هذه المجموعة البشرية كانت تعبد مناة و بيت إيل و تتعامل بالربا الفاحش و تتزوج مع غير اليهود ، معطيات تجعلنا نميل الى افتراض أن هؤلاء هم من شكلوا تحالف قريش الأصلي.

ما يزيد في قوة هذا الاحتمال ، أن اسم هذا التحالف القبلي كان يرد بصيغة "عرب قريش " وهي صيغة تفيد تبعية هؤلاء العرب لزعيم اسمه قورش الإخميني .
أما ركونهم الى منطقة الحجاز المقابلة لأسوان /إلفنتين لم يكن من قبيل الصدفة ،فالمنطقة سبق وشهدت هجرة سابقة لجدهم النبي اسماعيل والذي سبق ورفع على أرضها قواعد البيت العتيق / مكة / مكورابا.



وهنا لابد وأن نسجل ملاحظة بخصوص ذلك التقابل على ضفتي البحر الأحمر ، بين طيبة المدينة الدينية العظمى لدى المصريين القدماء وبين المدينة المنورة / يثرب بالحجاز، تقابل لم يأت بالصدفة خصوصا حين نعلم بأن يثرب تحمل أيضا إسم طيبة.

ومن جهة أخرى هناك تقابل آخر بين الكعبة المكرمة و هيكل إلفنتين المهدم بأسوان والموضعين خصصا لإقامة الشعائر و من بينها تقديم الكبش كقربان .

جاء في موسوعة (Bibliotheca historia) للمؤرخ اليوناني ثيودور الصقلي Diodorus Siculus الذي توفي سنة 30 قبل الميلاد ، وصف لمنطقة الحجاز والصحراء العربية في الجزء الثالث ص 217 :

سكان تلك المنطقة (يقصد الحجاز) حول الخليج والمعروفون باسم (Banizomenes) (أي بنو زمران) ... ويوجد هناك "معبد" وهو مقدس ومبجل للغاية من قبل العرب جميعهم (ويقصد به كعبة مكة - أو مكورابا عند بطليموس) ... كما أشار ثيودور الصقلي إلى مكان هذا البيت قائلا إنه بين الثموديين شمالا و السبئيين جنوبا و يقدهه العرب كافة .



بنو زمران في خرائط بطليموس (100م - 170م) تحت اسم زيرام = زمران

كلمة لا بد منها :

الإحتمال الذي سقناه حول إمكانية وجود صلة بين المجموعة البشرية بالفنيتين و التحالف القرشي بالحجاز وإصرار هذه المجموعة على إقامة هيكلها بأسوان في إزدراء واضح للإله المصري وكهنته ، يفتح الباب أمام بحث قادم في أصل ذلك الصراع الديني و البحث في تاريخية تلك المواجهة بين عبدة الإله آمون / الكباش في طيبة من جهة و أتباع النبي إبراهيم الموحدون من جهة ثانية ، علنا نتمكن من تحديد موطن أبو الأنبياء في تلك البقعة.

بعيدا عن كل يقينية ، فالنص المقدم يعتبر تجميعا لعدد من المعلومات و الملاحظات و التقاطعات التي إرتأيت ألا أحتفظ بها لنفسي وأن أتقاسمها مع المهتمين بالموضوع، لربما وجدت من بينهم من هو أقدر مني على التوسع فيها و دعمها بمعطيات أخرى غابت عني ، علنا نصل لرسم صورة أوضح نسبيا لتلك الفترة الزمنية ،تبدد بعض الغموض و تتفق والمنطق التاريخي .

بقلم : فوزي البصري
أغمار 2023